

عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية
الوحدة الثالثة: المنظور الإسلامي للاستشراف
الدرس الثاني: أساليب وأسس الاستشراف الإسلامي (1)
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

أساليب وأسس الاستشراف الإسلامي (1)

إن الدارس لمختلف طرق ومناهج وسبل استشراف المستقبل في الحضارات القديمة والمعاصرة، سيعي بأن الوحي الإلهي هو المعيار الفاصل المميز لهذه الممارسات الاستشرافية. فالخوف البشري من المستقبل دفع الإنسان إلى تبني مختلف الوسائل لمعرفة المستقبل وصناعته، سواء كان ذلك متواءما مع الدين أو منحرفا عنه أو منفصلا عنه أصلا. ولذا فإن الاستشراف عبر التاريخ البشري كان ولازال يحتكم إلى مناهج مفصولة عن المعتقد في كون الله سبحانه هو خالق كل شيء وأن الهدى النبوي هو سبيل تعقل المآلات الدنيوية والأخروية.

ولذا فالحديث عن أساليب وأصول الاستشراف الإسلامي، هو جرد للقواعد والضوابط التي يتعين الاحتكام إليها عند الشروع في صياغة فكر استشرافي. إن الحديث عن فقه استشرافي إسلامي يرتبط أولا، بتصنيف الأساليب الاستشرافية الممنوعة شرعا والأساليب التي يجوز اعتمادها في استبصار المستقبل.

وقد ذهب البعض¹ إلى تحديد الأساليب غير الشرعية في استشراف المستقبل كما يلي:

- الكهانة وهي «ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استشراف الجنى السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن» كما قال ابن حجر في فتح الباري، ويعرف الجرجاني الكاهن بأنه «هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب» وموقف الشرع واضح من ذلك، فالوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول كريم وليس بكهانة، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُذَكِّرُونَ، تنزيل

1. انظر: عبد الله بن محمد المدير، الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة، ص: 559 - 656.

من رب العالمين»². فالإخبار النبوي بالمغيبات مبرء من الكهانة أو الخيال الشعري، وإنما هو وحي إلهي محفوظ؛ فالحديث عن المستقبل والغيب من طرف النبي صلى الله عليه وسلم، هو تصرف رباني، لأن مصدره رباني. بينما تلقي المغيبات عن الشياطين هو كذب وافتراء وإفك إذ قال الله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾³، كما قال الله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾⁴ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»⁵.

- التنجيم: وهي ممارسة قديمة موغلة في القدم ظهرت في الحضارات القديمة، وهي ليست الاهتمام بمعرفة مواقع النجوم والكواكب فقط، وإنما محاولة الاستدلال من تلك المواقع على مغيبات. ولذا فإن علم الفلك ليس بتنجيم إذ المعرفة فيه لا تتوخى إدراك الغيب وتأثير النجوم على مصائر الأفراد والجماعات. ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد قال: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»⁶.

- الزجر والعيافة والتطير والطيرة: وهي أوضاع يستنبط منها وقائع مستقبلية من خير وشر، من تفاؤل وتشاؤم. ويقال «عفت الطير أعيفها عيافة أي زجرتها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها. والعائف: «الكاهن» كما قال الجوهري. و«الطائر ما تيمنت به أو تشاءمت» كما قال ابن منظور، والطيرة كما يقول ابن الأثير هي: «التشاؤم بالشيء» ويقول ابن حجر في فتح الباري: وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تبين به واستمر، وإن رآه طار يسرة تتشائم به ورجع... وكانوا يسمونه السانح.. والبارح.. فالسانح مولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتمنون بالسانح ويتشائمون بالبارح». وقال ابن حجر كذلك: «وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مضانه جهل من فاعله»⁷.

- والتطير والزجر والعيافة، تتناقض مع اصل شرعي هو التوكل على الله، لذلك قال رسول الله

2. سورة الحاقة، الآيتين: 40 - 43.

3. سورة الشعراء، الآيتين: 221 - 222.

4. سورة الأنعام الآية: 121.

5. أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

6. أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

7. عبد الله بن محمد المديفر، مرجع سابق، ص: 571 - 572.

صلى الله عليه وسلم: «من ردت الطيرة من حاجة فقد أشرك» قالوا يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»⁸. وقد قال كذلك عليه الصلاة والسلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»⁹. فحرر الرسول صلى الله عليه وسلم عقول الناس من التشاؤم بالهامة أي البومة وكذلك الاعتقاد بشؤم صفر.

- الخط والرمل: ويقول في ذلك ابن عابدين في حاشيته: «هي علم بضروب أشكال من الخطوط والنقط بقواعد معلومة، تخرج حروفاً تجمع ويستخرج جملة دالة على عواقب الأمور»¹⁰.

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ومنا رجال يخطون فقال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»¹¹. وقال النووي في شرحه للحديث: «اختلف العلماء في معناه، فالصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح. والمقصود أنه حرام، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا يقين بها». وقد قال الخطابي: «أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له إذ كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبي لأن خطه كان علماً لنبوته وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها»¹².

- الاستقسام بالأزلام: قال الطبري بأن الناس في الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم «سفراً أو غزواً أو نحو ذلك، أجال القداح وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها «نهاني ربي» وعلى بعضها «مرني ربي» مضى لما أراد الذي هو مكتوب «نهاني ربي» فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه «أمري ربي» مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك. وإن خرج الذي عليه مكتوب «نهاني ربي» كف عن المضي لذلك وأمسك»¹³ وقد حرم الله ذلك في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسْؤُكُمْ﴾¹⁴. وكل وسيلة قديمة أو جديدة يتوسل بها لاستشراف المستقبل ولا تراعي الاعتقاد بأن الله تعالى هو المتصرف في ملكه وهو المدبر للأقدار ومساراتها وهو المالك للغيب؛ فإن العلماء يعتبرونها مخالفة للشريعة.

8. رواه الامام أحمد في مسنده.

9. رواه البخاري.

10. عبد الله بن محمد المديفر، مرجع سابق، ص: 576.

11. رواه مسلم.

12. عبد الله بن محمد المديفر، مرجع سابق، ص: 577.

13. نفس المرجع، ص: 578.

14. سورة المائدة، الآية: 3.